الأنساق البنائية للحدث الساخر في روايات خضير فليح الزيدي

أ.م .د ميثاق حسن العطار الباحثة: ندم نعمة جبر

قسم اللغة العربية كلية الآداب/جامعة القادسية

methaq.attar@qu.eau.iq nadamnameah@gmail.com

الخلاصة :

يعد الحدث العنصر الأساسي الذي يشكل العمود الفقري للعناصر السردية في الخطاب الروائي، حيث يتضمن الزمن والمكان والشخصيات، وهو سلسلة من التطورات المرتبطة بموضوع معين، يعكس تصور الشخصية ، ويكشف عن أبعادها المختلفة ويعمل ويكشف أيضاً عن صراع الشخصيات الأخرى ليعطي معنى وقيمة للقصة، والحدث يتضمن تسلسل زمنيا للمجموعة من الأفعال والوقائع، ويرتبط الحدث بزمن محدد ويتطلب وجود مكان محدد أيضاً، ويتطور الحدث بتطور القصة ، إنّ كل ما في نسيج الحكاية يكون خدمة الحدث ، فيقوم بتصوير الحدث والعمل على تطويره فيكون كالكائن الحي له كيانه المستقل . وهنا سنتناول الأنساق البنائية بأنماطها الثلاثة : نسق الاتتابع و النسق الدائري ، ونسق التضمين.

الكلمات المفتاحية : الحدث ، نسق التتابع ، النسق الدائري ، نسق التضمين .

The Constructive Forms for Ironic Event in the Novels of Khudiar Flieh al-Zaidi

Assist. Prof. Dr. Mithaq Hassan Attar

Researcher: Nadam Ne'ma Jaber

Abstract:

The event is the basic element that forms the backbone of the narrative elements in novelistic discourse, as it includes time, place, and characters. It is a series of developments related to a specific topic, reflects the perception of the character, reveals its various dimensions, and also works and reveals the struggle of other characters to give meaning and value to the story. The event includes A chronological sequence of a group of actions and events. The event is linked to a specific time and requires the presence of a specific place as well. The event develops with the development of the story. Everything in the fabric of the story serves the event. It depicts the event and works to develop it, so it becomes like a living organism with its own independent entity. Here we will discuss the three structural patterns: the sequential pattern, the circular pattern, and the inclusion pattern.

Keywords: event. Sequential format, circular format, inclusion format .

المقدمة:

إنَّ الحدث بمفهومه العام يشير إلى " الواقعة التي تخرج عن المألوف، وهذا المعنى هو الذي نجده في الحدث التاريخي أو الحدث السياسي"[١]، فالفعل اليومي البديهي الذي يحدث بشكل متكرر دون تأثير ملحوظ ، يمكن أن نصفه بحدث متكرر او حدث روتيني ملحوظ. ويمكن أن نطلق على الحدث الذي لا يبتعد عن مفهومه في السرد بأنه "تغيير في الحالة يعبر عن الخطاب بواسطة(statement processed) في صيغة يفعل أو يحدث ، والحدث يمكن أن يكون فعلا أو عملا"[٢] .

وبمنظور آخر فأن الحدث "هو الانتقال من حالة إلى حالة أخرى في قصة ما"[٣]. ونفهم من ذلك بأن ليس كل أمر يحدث في الرواية أو القصة نطلق عليه حدث وإنَّما لابد أن يؤدي الحدث إلى غموض أو إلى "تغيير أمر أو خلق حركة أو أنتاج شيء"[٤].

وتعد الأنساق البنائية للحدث ضرورية ، ولكنها ليست مقتصرة على الأعمال الروائية فقط، بل تشمل القصائد الشعرية أيضا "فالقصيدة الشعرية أو المقطع الشعري من القصيدة إذا تمظهرت سردآ ، فأن بناءها للحدث لايختلف عن بناء الرواية مثلما تترابط الأحداث مع بعضها في الرواية أو القصة بنظام تتابعي أو دائري (....) تترابط في القصيدة مع بعضها بالنظام نفسه أي أن القصيدة تبنى بنفس الآلية التي تبنى بها الرواية"[٥].

وتظهر الأنساق البنائية للأحداث بوضوح في روايات (خضير فليح الزيدي) إذ يتمتع بروح روائية مميزة تتجلى على طول رواياته ، ويولي الروائي اهتماماً كبيراً في تنظيم الحدث الذي يصفه ، فكل رواية لا تخلو من حدث يتبع نسقا معيناً ، حيث لا يقتصر على نسق واحد في ترتيب الأحداث ، بل ينتقل بين أنساق مختلفة ...وأهم هذه الأنساق هي :

أولاً : نسق التتابع:

يعد هذا النسق البنائي للحدث واحداً من أهم الأنساق التي عرفت منذ زمن طويل ، وقد ساد لفترة طويلة في فن القص بمختلف أنواعه ، فكانت الأحداث تقدم بنفس ترتيب وقوعها ، أي تسرد وفقاً لترتيبها الزمني[٦]، ويسعى الراوي إلى سرد الأحداث بشكل خطي متسلسل بحيث يخضع بناء الحدث "لمنطلق السببية ، فالسابق

يكون سبباً للاحق ، ويظل الروائي ينسج حبكة النص صاعدا إلى الأمام بشكل أفقي خطي، فيتأزم المتن الحكائي في لحظة ماهية الذروة ، ثم تنفرج في النهاية يغلق فيها الراوي النص"[٧].

ومن نماذج النسق التتابعي للحدث الساخر في روايات الزيدي منها.

١_ رواية فندق كويستان :

تتابع الحداث بشكل متسلسل يتخلله أسلوب ساخر تهكمي أتجاه حالة البؤس والدموية التي كانت تعيشها الشخصيات بتلك العبارات التي تفضي طابع الازدراء، فنجد أكثر من ملامح منها :

" لم انس مطلقا ذلك اليوم الذي تعرضنا فيه الى زيارة قائد الفرقة ووجه لنا عقوبة زيان صفر وسجن عشرة أيام (نشر فقط) لأن الشهداء الاكرم منا جميعا على أرض المركز وبالعراء.. قال: الشهداء تيجان العراق وهم شرفنا ، هل يجوز لنا أن نترك جثثهم ملقاة على أرض المركز ؟؟ قال له معقبا مشتاق بخيل العين: – هذا كفر بحق الشهيد – الشهداء أكرم منكم جميعا .

عشرة أيام... والضحايا كثر سيدي.. فورا. هذه الجثث يجب أن تذهب الى ذويها قبل الضياء الأخير .

– تأمر سيدي.. علينا أن نطبق شعار تبا للمستحيل... مشتاق بخيل العين يأمر بإتمام تجهيز العشرين جثة بإعلامها وتوابيتها فورا دون أي عذر حتى همام مراسله الشخصي جاء ليعمل معنا في القسم تصفية الجثث.. في الحرب كل شيء فوري وعاجل وحصريا . حتما ...الخياطون جاهزون للعمل المستحيل في قسم خياطة العلم ...هناك مشكلة في اللونين الأخضر والأحمر وشحة اللون الأسود قال أحد الخياطين العرفاء، ليس لدينا سوى أطوال ملفوفة من الهمايون الأبيض.. كيف نعمل أعلاما عراقية بطول مترين وبعرض متر ونصف من اللون الأبيض ؟؟ طبعا مشكلة لكن الجيش لا يعرف المستحيل .. تبا للمستحيل... – هذا العلم ألوانه كثيرة ناصر يشكو من كثرة ألوانه... صاح آخر كان متحمسا جدا :

– الله أكبر.. – لنتدبر الأمر.."[٨] .

لقد أستعمل الروائي جانب من السخرية الخفية في التعبير عن دلالات الألوان من خلال الحديث الذي دار حول مشكلة الألوان وخصوصاً اللون الأخضر والأحمر وشحة اللون الاسود فدلالة الألوان التي ذكرها الروائي

الزيدي حاملة لدلالات لها ارتباط وثيق بالحالة التي يمر بها البلد في تلك الفترة بغض النظر عن كونها ترمز لألوان العلم العراقي فاللون الأحمر يرمز إلى الحرب والدمار ومزيداً من سفك الدماء [٩]. فالكثرة في استعماله تشير إلى كثرة الموت وندرة ذلك اللون، أما اللون الأخضر فيرمز إلى الجنة و السلام [١٠]. وهو يشكل مشكلة لدى الروائي في تتابع الاحداث وتسارعها . أما اللون الأسود فهو لون سلبي يدل على الشؤم والحزن والدمار وهو لباس الحزن فندرة اللون متأتية من كثرة استعماله في إشارة واضحا إلى كثرة الموتى[١١]. أما اللون الابيض فهو موجود بكثرة حسب ما ذكر الروائي بأنه موجود"أطوال ملفوفة من الهمايون الأبيض"[١٢]. فاللون الأبيض يشير إلى الفناء إلى جانب الاستسلام " ورفع الراية البيضاء "[١٣]. فالروائي يسخر من خلال ذكر تلك الألوان من كثرة الموت تحت شعارات مزيفة، نحاول أن نقنع أنفسنا بأنها واقع في كثرة الموت، والدمار، والانهزام، لا يمكن أن نخفيه مهما كثرت علية الألوان ، ويريد أن يوصل الفكرة بأسلوب السخرية بأن الأوطان لا تبنى بالهتافات والمظاهر ، وإنما بالعمل الجاد والتضحيات الجسام.

كما نلاحظ أنَّ ملامح السخرية جلية في هذا النص اولها موقف قائد الفرقة كلمة عن الشهداء بأنهم أكرم منا جميعا وأنهم تيجان على رؤوسنا ويجب ان نكرمهم وفي ذلك تناقض كبير؛ إذ يصنعون المهالك والحروب الطاحنة ويزجون أبناء الشعب فيها تطحنهم رحى الدمار وتراق دمائهم، أي كرامة وأي تيجان اذا كانت الأهداف التي سقط من أجلها الآلاف من الرجال نتيجة طيش وعنجهية الطغاة الحاكمين . ومن الملامح الأخرى الأوصاف المزرية والساخرة التي تصف بها الشخصية أزلام القتل كـ (مشتاق الاعور و بخيل العين وغيرها) كما نجد تسفيه لمقولة النظام التي تقول (تبا للمستحيل والله أكبر و عاش المجاهدون) أي مستحيل وراءه وأي أنجاز عظيم حققتموه ؟ بالدمار وقتل أبناء الشعب بحروب خاسرة خلفت وراءها الدمار واليتامى والأرامل وشباب بعمر الورد إلى حتفها مقطعة الأشلاء ،كل هذه الأحداث كانت متتابعه في هذا النص بقوله: " تحقق حلم كاكه ناصر في الحرب والإفلات من قرن الحرب وبراد الجثث المجمدة، هاجر الى المانيا عندما كانت حرب الثمان في عامها الخامس وعلى أوجها تحسست بسبابتي عينيه المبللتين بدمعه الدافئ... . اتتركني مع وحشة هذه الجثث كاكه ناصر لحظة واحدة مرت بسرعة للأسف أدركت إنها كانت سنوات تبخرت من أصابع كفي.. سنوات كفرط حبيبات الرمان من العمر برمشة عين من أجل تراب وطن أجرد وأملح.. أبياه لدينا الكثير من تراب الوطن والقليل من الحياة الآمنة للعيش الرغيد ... متى نبتسم لك يا وطن ولا تضحكنا عليك؟ أهلي هناك يحبون

الموت أكثر من حبهم للحياة، يحتقرون الحياة ويقدسون الموت... العزاء الميت قدسية واحتفالات أكثر من ولادة طفل لأحدهم.....اتصلت بناصر بمنفاه في المانيا قلت له: إذا تريد أن تأتي الى بغداد، فتعال في الشتاء.. صيفنا جمرة مستعرة يكف مجنون ... تحت ظل المفخخات ونزق الحكومات المراهقة البلد جحيم لا يطاق مع انحسار تيار كهرباء الحكومة وطفح تيارات أخرى الأجواء مجنونة (...)يوميا الشمس تنزل وتتغدى معنا، تعال في الشتاء فالأمر أهون الشرين، أترك قطتك (سيسو) الكتيبة في المانيا، الناس في بغداد لا تطيق بعضها فكيف تريد منها أن تطيق القطط الكتيبة ؟؟ . يحاول كاكه ناصر مثل العراقيين المهاجرين العودة الموقتة الى البلد الممارسة لعبة الذكريات المفقودة وترميم ما فقد منها مثل جماعته المغتربين، كذلك استلام مخطوطة روايته التي تركها معي وهرب من الخدمة .. قلت له نعم موجودة طبعا كذبت عليه لقد نسيتها تماما ... ناصر الكردي بطران.. أي مخطوطة وأي رواية ... جرثومة البلد تصيبهم بخيبات كبرى، ثم سرعان ما يعودون إلى أوطان المنافي مختصرين بذلك إجازاتهم.. ومكتفين بالصور وأصابع الباميا اليابسة والسمك المجفف التي أخذوها معهم ... "[١٤]، فقد أتضح من خلال هذا الحدث بأن النص يتلاعب بالمفردات والصور الشعرية للتعبير عن الوضع السياسي والاجتماعي في العراق، ويصف النص الوطن بأنه تراباً أجرد وأملح ، كما وأشار الروائي (الزيدي) إلى إن الناس يحبون الموت أكثر من الحياة ، ويقدسون الموت، لم يكن هذا الحب أو التقديس عفويا، أو وليد الصدفة بل لكون الموت في بلدي صار مألوفاً لكثرته فأصبح شبح الموت صديق لكل فرد، ويطرق الباب دون استئذان، فأصبح الخطر محبوباً لكثرة تواجده بيننا هكذا بدأ منظر الموت، وأصبح الناس يقدسونه ويمقتون الحياة لما فيها من المصاعب والموت فيه راحة من تلك المصاعب والمتاعب إنها سخرية الناس من الحياة ومصاحبة الموت، وأيضا أشار إلى تدهور البنى التحتية، وانعدام الكهرباء والحكومات المرهقة، فكانت السخرية في هذا النص هي في وصف عودة (كاكه ناصر) إلى العراق ، ومحاولته لاستعادة الذكريات المفقودة ، وكذلك لوصفه الخيبات الكبرى التي واجهها العراقيون في ظل الظروف السياسية ، وتأثيرها على رغبتهم في العودة .

٢_ رواية المدعو صدام حسين فرحان:

هناك حدث تتابعي ساخراً قد وظّفه الروائي وهو زواج حسين الوطني فكان الحدث متسلسل يقول :" عثر على أحد المصابين ميتا (...) على سرير الزوجية، ميتة لم تكن محتملة و " الزوج ابن الزوج " لم يذرق في النهار كأعراض محتملة للمرض. يكتشف المشيعون سر جماعة مع زوجته التي ماتت معه في اللحظة الرهيبة ذاتها. كان بعض على لسانه من جهة، ومن أخرى يعض طرف ثوبه بأسنانه المنخورة، وما لبث أن رفس السرير بساقه حتى سقط مغشياً عليه بالضربة القاتلة لأبي " ذريق" الرهيب، لاحراك يرتجى منه، تلحقه زوجته مع أول صيحة عظمى عليه"[١٥].

هذا الحدث الذي تنقله شخصية(صدام حسين) لصديقة (عبد الكريم قاسم) بنوع من السخرية اللاذعة النابعة من الضغينة التي يكنها لأبيه يصفه لأحد أزلام النظام وينقل كذلك مدى بشاعة المرض الذي فتك بالناس نتيجة التخلف وتدهور القطاع الصحي أنذاك ، فالروائي (الزيدي) أستخدم السخرية والتشويق من خلال وصفه لأفعال الزوج مثل (عض لسانه) وأيضا(عض طرف ثوبه بأسنانه المنخورة)لإيصال فكرة معينة بشكل مبالغ فيه لخلق تأثير مروع ، وتشويق القارئ ، وكذلك انتقاد لبعض السلوكيات أو القيم الاجتماعية .

وعليه نفهم من ذلك بأن النسق في ترتيب الأحداث في النص الروائي يترتب"على نحو متوال ،بحيث تتعاقب مكونات المادة السردية جزءا بعد آخر ، دونما ارتداد أو التواء في الزمان ، ولهذا عد هذا النسق في الخطابات السردية من أبسط أشكال النثر الحكائي التخيلي، مما يعطي ميزته بين نظم الصوغ الأخرى استهلاله الذي يعمل على تأطير المادة الحكائية، وليس الفعالية الإخبارية المقترنة بالشخصيات فحسب، وإنما تحديد الخلفية الزمانية والمكانية للمتن كله "[١٦].

وفي نموذج آخر للسخرية من الصراع العنيف" في تلك اللحظة أحسست بدفء "بولتي" تنساب على فخذي، أسمع همهمات وأصوات الإيرانيين خارج الموضع. "الله أكبر". أحسست بدنو نهايتي، فأتممت نطق الشهادتين متقربا إلى الله بالتوسل والدعاء، وقد نسيت في تلك اللحظة كل فلسفات العبث والتمرد والوجود والعدم. إذ أزفت الساعة لولا مشيئته، أصابهم الله بالعمى فذهبوا إلى مواضع متروكة أخرى يرمون فيها الرمان اليدوي ثم يقتحمونها مع صيحات (الله أكبر). في الهجوم الحاسم يصيحون (الله أكبر) والمفارقة نحن نهجم في الصولة

أيضا ونصيح (الله أكبر). والله سبحانه يحتار مع من الفريقين المتحاربين ينحاز، ومن هي الفئة الباغية فينا. لذلك تركنا الله سبحانه ثماني سنين ودية تعبث في لعبة الحرب والموت المتبادل منذ ذلك الوقت"[١٧] .

في هذا النص سخرية من الواقع المصطنع الذي نجبر عليه مكرهين لا طائعين نحاول أن نجعل الموازنة متكافئة بترديد نفس الهتافات التي يرددها المقابل لنقنع الآخرين أننا أصحاب حق فمن الذي على باطل إذن ؟ لقد تساوت الموازين وفي لحظة الخوف تذكرنا بشيء لم نكن لنتذكره لولا لحظة الخوف إنه الإيمان ليس المطلق بل الوقتي الذي ولد للتو كيف نستطيع أن نقنع أنفسنا أننا على حق ونحن نخاف أن تكون نهايتنا في هذه المواجهة ، لدرجة أننا من شدة الخوف أبتل جسده بالبول الذي يعبر به الروائي (الزيدي) عن أقصى درجات الخوف ، مما عزز الفكرة العامة للسخرية والتناقض للتعبير عن الواقع المرير الذي مرت به الأمة .

ثانياً: النسق الدائري :

يقصد به بأن" الأحداث تبدأ من نقطة ما ثم تعود في النهاية إلى نفس النقطة التي بدأت منها"[١٨]، وعادة ما يأتي هذا النسق كنسق ثانوي بجانب أنساق أخرى كنسق التتابع مثلاً [١٩].

ومن نماذج النسق الدائري عند الروائي (الزيدي) في رواية (فندق كويستيان) نجد حديث الراوي عن حدث هروب صديقة كاكه ناصر ومن ثم ينتقل الى الحديث عن أجواء الصيف في العراق والمعاناة التي يقاسيها الشعب نتيجة سوء الخدمات والتهكم من الوضع الراهن ثم يسرد مرة أخرى يرجع إلى النقطة التي بدء منها الحدث وهي هروب صديقة ناصر. وهذا هو النسق الدائري. وقد استعانت الشخصية العبارات الساخرة والتهكمية لتصوير ذلك .

وفي نموذج آخر للنسق الدائري في الرواية نفسها "كنت أبحث عن مصير مخطوطة رواية (حديث الريم لناصر رشيد) ...حيث كانت مودعة لدى المكتبة العصرية من مكتبات الشارع قبل الانفجار بيوم واحد المكتبة نالها التفجير في يوم الاثنين ٣/٥ والحريق في الليلة الأخرى. أما حمادة هذا طبعا فلديه مهنة غريبة أبتكرها مع دخول موجة المفخخات التكتيكية في حياة العراقيين وتحول من حمادة المجتث الى شيخ حمادة، يقول حماده في نفسه :

– كنت أعمل حدقجيا (في حدائق الأمن العامة على الملاك الدائم أيام تحت السبعة.. في أيام الحصار كنت أتقلب بين شارع الكفاح وسوق الشورجة بعد أن تراجع راتبي وترشق أبان الحصار... أصبحت خبيراً في التعرف على ورقة الدولار المضروبة في الكفاح... للمزحة فقط أسموني تجار الشورجة بحمادة سونار.. كما ترى أنا اليوم من جماهير الأجهزة المنحلة برايمر الملعون سرحني بالقنافذ وطار بالدخل، والآن سموني شيخ حمادة ملك الخردة.. أيضا كان لدي خدمة فعلية مضافة في سجن كروبر الأمريكي سنة واحدة ٢٠٠٣ ومثيلتها أخرى كاملة في بوكا عام ٢٠٠٤.. لا يهمني ما يقول علي البعض من تسميات والضحكات المتواصلة خلف ظهري.. المهم أني أحط بالسلة عنب... هذه القصة وما فيها ... يمتلك حمادة هذا محلا صغيراً في شارع الكفاح فيه ثلاث تلفزيونات مفتوحة على الدوام مع مولدة كهرباء وسيارة نقل صغيرة بيك أب وثلاثة عمال... تلك عدة العمل لهذه المهنة الغريبة والجديدة لشيخ حمادة ملك الخردة وحمادة سونار وحدقجي الأمن العامة سابقا ... مهنته الغريبة هذه تتطلب منه الحضور المبكر الى محله في الكفاح منذ ساعات الصبح الأولى.. يفتح محله في الساعة السادسة صباحا من كل يوم.. ينتظر هو وعماله الثلاثة لحظة التفجير بالمفخخات في بغداد صباحا .. يلتقط مكان وزمان الانفجار من لحظة بث العاجل المرسوم على الفضائيات.. أو سماع صوت الإسعافات أو صوت الانفجارات وتلك طريقة يسميها هو (رزق البزازين)، ما أن تكتب كلمة عاجل على القنوات الثلاثة...الشرقية والبغدادية والعربية... حتى يصرخ عامله الصغير: " عاجل عاجل عاجل.. شيخ حمادة.. انفجار قوي ... مثلما أحتج الشاعر حسين علي يونس على جائزة احتراق المتنبي، يقول وهو يهز يده: " ما نفع الشعر إزاء احتراق المتنبي والرماد لم يزل يرسم هالته على الجدران... أنظر إلى رماد الكتب.. المأساة تخرسني حتى عن بوح الشعر الخالص فالنحلة"[٢٠]، من خلال هذا النص يتجلى لنا نسق الحدث الدائري ؛ إذ ابتدأ بحدث البحث عن مخطوطة رواية ناصر (حديث الريم لناصر رشيد) من لدن صديقة ومن ثم ينتقل بالسرد إلى احداث مسيرة بتاجر الحروب الطائفية والأزمات السياسية ومن بعد ذلك الرجوع إلى حدث البحث عن مخطوطة الرواية، وبذلك تكون الأحداث بشكل لولبي دائري بأسلوبه الفذ التنقل عبر هذه بطريقة انسيابية ومترابطة للأحداث، فتارة نجد أن الروائي يلجأ إلى الاستباق مسرعاً الأحداث بطريقة فكاهية فيها شيء واضح من السخرية اللاذعة ، وتارة أخرى يلجأ إلى الاسترجاع كما في البحث عن مخطوطة الرواية ، فيلف الأحداث بشكل لولبي ، وهذا الحدث الدائري أو ما يسمى بالنسق الدائري له خاصية الشد بالقراءة ويسعف الذهن في ربط الأحداث بطريقة ذكية منسقة .

ثالثاً: نسق التضمين:

ونعني به "تضمين حدث ما في صيغة معينة بصيغة أخرى"[٢١]، أي أن تكون قصة فرعية أخرى مضمنة للقصة الأصل "من دون إرهاصات مسبقة أو تقديمات ، فهي مقطوعة لا جذور لها ، تدخل بشكل مفاجئ في سرد القصة الأصلية"[٢٢]، إلا أن تعدد القصص لايتطلب بالضرورة تعدد الرواة فبإمكان راو واحد يقوم بربط مقاطع حكائية مختلفة ، ولاسيما إذا كان الكاتب لديه موهبة قصصية في السرد ، وكذلك القدرة على اختيار المواضع المناسبة في توليد القصة[٢٣].وذلك ما نجده عند (الزيدي) ومنها :

١_رواية ذيل النجمة :

قال: "صباح أحد الأيام كانت الأم بدوية الطباع والنشأة تجري خلف قافلة الإبل وخلفها كلب سلوقي نحيف، تهش ما خرج من الدواب عن طريق الرعي.. حاصرها الطلق نامت في ظل حمارها الأملح الوفي الخجول ، الذي نأى بوجهه عن منظر ولادة صحراوية كهذه. ثالث طلقات ويزلط الجنين الأزرق بسهولة ويسر وصرخة تختلط بصوت الماعز.. تعفره ببراز بعير كبير السن.. وينظفه البعير الشائخ ببولة طويلة من ماء أصفر لماع، تقص حبله السري بأسنانها ، تلفه بخرقة بالية وتضعه على ظهر الحمار الخجول ...غدا يلاعبه الكلب السلوقي ويعلمه الجري الحر في المدى المفتوح والتيه السديمي، وبعد غد يرتدي شماغا احمر ويمسك عصاه خلف قافلة الأباعر ويهرول دون هدى اليوم هو يدخن في غليون جده ويكثر من الحداء المر ويشرب الثأر مع القهوة المرة.. هكذا يصبح جسار بدويا، يكره حياة الصحراء ووحشتها الدامية ويذهب حيث المدينة وميوعة العيش فيها، حالما بتملكها والسيطرة عليها فهي واحدة من غزواته وإحدى غنائمه المحتملة... ندبة على صدغة تدل على صحرائه "[٢٤] .

من خلال النص أعلاه نجد نسق الحدث الضمني بشكل جلي فقد كان الحدث الأول هي والدة جسار البدوي بهذه الظروف التي أراد الروائي أن يسخر فيها من قسوة الحياة وتكالبها على الانسان الذي يسعى وراء قوته هذا من جانب ومن جانب اخر معاناه المرأة والاهمال الذي تعيشه في أصعب اللحظات وهي لحظات الطلق تكابدها لوحدها ، وقد تضمن هذا الحدث إشارة إلى أحداث منها طلب الثأر والغزو القبلي والحلم بالسيطرة وغيرها من الأحداث التي يعيشها الناس آنذاك، مع إشارة ضمنية إلى تهميش دور المرأة في حياة الرجل، فبعضهم لا يرى

فيها إلا مصنع ينجب الأولاد الذكور، ويختفي دور المرأة عند ذلك يصورها الروائي (الزيدي) بأسلوب التضمين يكشف لنا عن المعاناة التي تعشها تلك المرأة تحت وطأة القسوة والظلم فلم يفرق في هذا التضمين بين وجودها ووجود ما في المخلوقات الأليفة من حولها .

وفي نص آخر للرواية ذاتها يقول الروائي: " ساعة الفندق نقشت بين تروسها الآلاف اللحظات الهاربة من قبضة الزمن، كل ساعة دق أو صمت في بهو الفندق ارتبطت بحدث ما، مظاهرة صاخبة.. فيضان نهر انقلاب عسكري.. أزمة وقود شحة السكر...مقتل احد القادة العسكر... مداهمة أمنية . على غرف الفندق مغادرة أو نزول أحد الساسة الكبار في فندق الليل الساعة تحتفظ بكل التفاصيل الدقيقة لفندق الليل. خصص هارون الرشيد رجل ساعاتي طاعن في السن أيام خلافته في بغداد، على تعيين الساعاتي للعيش فوق قمة منارة أعلى المنارة ساعة جدارية ثمينة..، في النهاية توقفت الساعة وعرابها معا في تطابق غريب. ساعة الفندق الجدارية هي ليست حارسة للوقت فحسب، بل هي اثر يدل على وجود وزمن ما يتكرر كلما أوغل عامل الطمر الصحي في نبش الركام... كلما ابتكر حسن الساعاتي طريقة جديدة لمعرفة اللحظات الحرجة التي توقف فيها الزمن عن الدوران ... حسين الساعاتي قتلته الدقائق والثواني والساعات التي تجرجر أذيالها ..مات بجريرة حلمه الأزلي في ساعة لا تتوقف أبداً"[٢٥].

من الملاحظ أن الروائي قد ضَّمن الحدث حدثا من زمن بعيد يعود إلى الخلافة العباسية وتحديداً زمن (هارون الرشيد) إشارة إلى أهمية الزمن منذ القدم ، ومن سخرية القدر أن الزمن أصبح مفقودا لدينا اليوم ،إنَّ حادثة توقف الساعة هي دلالة على تعطل كثير من أمور الحياة فدقات وسكنات الساعة هي ما يصادفنا في حياتنا ، إذ هناك احداث تجعلنا في حالة من الراحة وهذا ما يرمز له سير عقارب الساعة وأخرى يمثلها السكون عندما يتوقف، فالإنسان لا ينقل بل يصف الزمن أملا منه أن يحصل عن أكبر قدر من الوقت لتحقيق أكبر قدر من الرغبات والمصالح الدنيوية فالوقت لم ينفذ، ولكن عمر الأنسان في تسارع مع ذلك الزمن، فالساعاتي لم يكن يدرك أن تلك اللحظات التي يمج بها ليل الساعة ويلحقه بما يتصل به من الوقت في حقيقة الأمر، يقرب من نهاية رحلة حياته ومن شعور ذلك الدنو حتى وصلت به الثواني والدقائق والساعات إلى أجله المحتوم، فمات قبل أن يحقق حلمه بساعة لم تتوقف أبدا، فلو علم بأن تلك الدقائق من عمره لأبطأ سير الوقت وحلم بساعة لم تدور عقاربها .

خاتمة البحث:

ونستنتج من ذلك بأن الروائي (خضير فليح الزيدي) قد استخدم السخرية ببراعة وذكاء للتعبير عن الأوضاع السياسية والاجتماعية في المجتمع، إذ تمكن (الزيدي) من خلق جو من السخرية، والتجاوز الذي يعكس الظواهر السلبية والتناقضات في المجتمع ، فسلط الضوء على الجانب السلبي للواقع الاجتماعي والسياسي، وقد رسم الأحداث بكل تجلياتها بطريقة ساخرة في معظم تفاصيلها ولكنّها معبِّرة إلى حد الدقّة قدمَّها بأسلوب سلس ومميّز، يشعر القارئ ببراعة الأسلوب والاختيار الموفَّق للعبارات والألفاظ الهيّنة غير العسيرة في الفهم، فيها معانٍ متجلية تحت طياتها لا تحتاج من القارئ جهد أو كد ذهني في الوصول إلى كنهها .

الهوامش:

(١) معجم السرديات : محمد القاضي وآخرون : ١٤٥ .

(٢) قاموس السرديات : جيرالد برنس : تر،السد إمام : ٦٣ .

(٣) معجم السرديات : محمد القاضي وآخرون : ١٤٥ .

(٤) معجم مصطلحات نقد الرواية : د. لطيف زيتوني : ٧٤ .

(٥) بناء الحدث في شعر نازك الملائكة (مقاربة نصية) : نجوى محمد جمعة : مجلة آداب البصرة : ٢٠٠٧ : العدد : ٤٤ : ٩٤-١١٩.

(٦) ينظر : الفضاء الروائي : جبرا إبراهيم جبرا : ٧٣.

(٧) الزمن في الرواية العربية : مها حسن القصراوي : ٦٥ .

(٨) فندق كويستيان : ١٥٣– ١٥٤ . .

(٩) ينظر : سيميائية الصورة : قدور عبدالله ثاني : ١٣ .

(١٠) ينظر : اللون ودلالته في الشعر : ظاهر محمد هزاع : دار الحامد : عمان : الأردن : ط١ : ٢٠٠٨ م : ١٤٥ .

(١١) ينظر : الصورة اللونية في الشعر الأندلسي : صالح ويس : دار مجدلاوي : عمان : الأردن : ط١ : ٢٠١٤ : ١٢٤.

(١٢) فندق كوستيان: ١٥٤ .

(١٣) اللغة واللون : أحمد مختار عمر : دار عالم الكتب : القاهرة : مصر : ط١: ١٩٨٢ : ٧٠ .

(١٤) فندق كويستان : ٢٦ _ ٢٨ .

(١٥) المدعو صدام حسين فرحان : ٩١ .

(١٦) المتخيل السردي ، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة : عبدالله إبراهيم : ١٠٨.

(١٧) فندق كويستيان : ١٢٥ .

(١٨) البناء الفني في الرواية العربية في العراق : د. شجاع مسلم العاني : ٤٤ .

([١٩]) ينظر : الفضاء الروائي : جبرا إبراهيم جبرا : ٨٠ .

([٢٠]) فندق كويستيان : ٢٦_٢٨ .

([٢١]) أبنية الحدث في النص الشعري – تجربة شعراء الموصل انموذجا : عبد الغفار عبد الجبار عمر : مجلة التربية والعلم : جامعة الموصل : المجلد ١٣ :العدد : ١٦ : ٢٠٠٦ م : ٢١١ .

([٢٢]) ديوان مهيار الديلمي (ت ٤٢٨ هـ) : دار الكتب المصرية : ط١ : ١٩٢٦ م : ٥٥ .

([٢٣]) ينظر : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي : حميد الحمداني : ٤٩ .

([٢٤]) ذيل النجمة : ١٠٣.

([٢٥]) ذيل النجمة : ١٠٤ .

المصادر والمراجع:

١/قاموس السرديات : جيرالدبرنس : ترجمة : السيد إمام : دار ميريث للنشر والمعلومات : القاهرة : ط١ : ٢٠٠٣ .

٢/بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي : حميد الحمداني : المركز الثقافي العربي : الدار البيضاء: ط٣ : ٢٠٠٠ .

٣/معجم السرديات : محمد القاضي وآخرون : دار محمد علي للنشر : تونس : ط١ : ٢٠١٠ .

٤/معجم مصطلحات نقد الرواية : د. لطيف زيتوني : دار النهار : بيروت : ط١ : ٢٠٠٢ .

٥/بناء الحدث في شعر نازك الملائكة (مقاربة نصية : نجوى محمد جمعة : مجلة آداب البصرة : ٢٠٠٧ : العدد : ٤٤.

٦/الزمن في الرواية العربية : مها حسن القصراوي : الموسوعة العربية للدراسات والنشر والتوزيع : بيروت : ط١ : ٢٠٠٤ .

٧/سيميائية الصورة : قدور عبدالله ثاني :دار المغرب للنشر والتوزيع : ط١ : ٢٠٠٥ .

٨/اللون ودلالته في الشعر : ظاهر محمد هزاع : دار الحامد : عمان : الأردن : ط١ : ٢٠٠٨ م : .

٩/الصورة اللونية في الشعر الأندلسي : صالح ويس : دار مجدلاوي : عمان : الأردن : ط ١ : ٢٠١٤ .

١٠/اللغة واللون : أحمد مختار عمر : دار عالم الكتب : القاهرة : مصر : ط١: ١٩٨٢ .

١١/ المتخيل السردي ، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة : عبدالله إبراهيم : المركز الثقافي العربي : المغرب : ط١ : ١٩٩.

١٢/البناء الفني في الرواية العربية في العراق : د. شجاع مسلم العالي : دار الشؤون الثقافيه العامة : بغداد: ١٩٩٤ .

١٤/الفضاء الرواني : جبرا إبراهيم جبرا : ابراهيم جنداري : دار تموز : دمشق : ط١ : ٢٠١٣ .

١٥/ أبنية الحدث في النص الشعري – تجربة شعراء الموصل انموذجا : عبد الغفار عبد الجبار عمر : مجلة التربية والعلم : جامعة الموصل : المجلد ١٣ : العدد : ١٦ : ٢٠٠٦ .

١٦/ديوان مهيار الديلمي (ت ٤٢٨ هـ) : دار الكتب المصرية : ط١ : ١٩ .